

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الثامن عشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين:-

◆ قال المصنف - رحمه الله - وفيه: أي في صحيح البخاري

وفيه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - لعل هذا أول موضع يرد فيه ذكر أبي هريرة في كتاب التوحيد

و أبو هريرة علم مشهور واسمه عبد الرحمن بن صخر الدوسي، وكان إسلامه في السنة السادسة من الهجرة في فتح النبي ﷺ لخبر وقد قدم مع الطفيل بن عمرو الدوسي الذي كان سبب في إسلام قبيلته، وأقبل - رضي الله عنه - على تعلم العلم، وحفظ الحديث في حين كان غيره مشغولاً بالصفق في الأسواق، أما هو - رضي الله عنه - فقد طفق يحفظ حديث النبي ﷺ ودعا له النبي ﷺ بالحفظ حتى أنه روي عنه أكثر من خمسة آلاف حديث فهو أكثر الصحابة حديثاً - رضي الله عنه - وإنما أتاه هذا اللقب أبو هريرة لهرة كان يحملها وهو صغير رضي الله عنه،

قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وهذا يدلكم أن أبو هريرة - رضي الله عنه - كان يتلقى هذا عن الصحابة ويفيدنا فائدة حديثة وهي أن مرسل الصحابي له حكم الرفع لأن أبا هريرة - رضي الله عنه - لم يشهد العهد المكي، لم يشهد النبي ﷺ وهو يصعد على الصفا وينادي في قريش فلا ريب أنه تلقاه عن الصحابة الذين شهدوه فمرسل الصحابي له حكم الاتصال لأن الصحابة رضوان الله عليهم عدول كلهم

قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عليه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وقد جاء في بعض الروايات صعد على الصفا، إذا هذا القيام المقصود به قيامه على الصفا والصفاء هو الجبل المعروف الذي يتدنى من أراد السعي من عنده كما قال النبي ﷺ أبدأ بما بدأ الله به: { إن الصفا والمروة من شعائر الله }، وكان قريباً من مجالس قريش كانوا يتحلقون حول البيت فامتثل النبي ﷺ أمر ربه وأخرج الدعوة من طورها السري إلى طورها الجهري بهذه الحادثة فقام:

وقال: (يا معشر قريش : المعشر هم الجماعة مأخوذ من العشرة وقريش: هي القبيلة العربية الشريفة التي ينتمي

إليها النبي ﷺ - أو كلمة نحوها يعني هذا شك من الراوي يعني هل قال يا معشر قريش أو كلمة قريبة منها،

وهذا أيضاً يفيدنا فائدة حديثة وهو جواز الرواية بالمعنى بشرط: أهمها ألا يخل بالمعنى و ألا يكون ذلك من ألفاظ الأذكار المتعبد بها أو كلمة نحوها إذا لماذا نصبنا كلمة؟ بتقدير فعل محذوف يعني أو قال كلمة نحوها -

اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، اشتروا أنفسكم الشراء هو أحد طرفي المعاوضة لأن المعاوضة تقوم على بيع وشراء فكأنه نبه على هذا المعنى العظيم يعني اشتروا أنفسكم اعتقوا أنفسكم بشرائها وكيف يكون شراءها بالإيمان بالله وحده والدخول في عقد الإسلام اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من أمر الله شيئاً لا أغني عنكم من الله شيئاً فعم خص بعد أن عمم الخطاب بعموم قريش خص الأقربين لأن الله تعالى قال له وأنذر عشيرتك الأقربين،

فقال: يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، هكذا يا عباس بالرفع منادى وابن تكون بالأفصح بالنصب عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، ما علاقة العباس بالنبي ﷺ؟ عمه أحد أعمامه،

يا صفية عمه رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليمان من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً). نادى النبي ﷺ هؤلاء الذين من جهة الأصول والحواشي، ومن جهة الفروع وهم من أقرب الناس إليه وقصد التنبية وإلا إن عشيرته الأقربين أكثر من هذا لكنه أراد الامتثال الدقيق لأمر ربه فنادى، وعم، وخص لا أغني عنك من الله شيء قالها لهؤلاء الثلاثة لعمه وعمته وابنته، ولكنه قال في شأن فاطمة سليمان من مالي ما شئت وهذا يدل على وجوب نفقة الأبناء والبنات على أبيهم ولم يقل هذا بالنسبة للعم والعممة فهذا الحديث العظيم المتضمن لهذه القصة مناسبة للباب جلية واضحة وهو أن محمد بن عبد الله ﷺ سيد ولد آدم حامل لواء الحمد يوم القيامة يعلنها أنه لا يغني عن أحد شيئاً فكيف بمن دونه ممن يدعى من دون الله؟ ففيه أعظم الرد على من يتوجهون إلى الأولياء والصالحين، ويقصدون قبورهم، ويسألونهم أموراً لا تسأل إلا من جهة الله - عز وجل - فهذا دليل وبرهان قاطع على بطلان طريقتهم

◆ فمناسبته ظاهرة للكتاب

◆ فنستفيد منه :-

■ الرد على عباد القبور والأنبياء والصالحين

■ ونستفيد أيضاً أنه لا يجوز أن يُسأل العبد ما لا يقدر عليه إلا الله فإن فعل فقد أشرك

■ وفيه أيضاً على سرعة امتثال النبي ﷺ لأمر ربه وهذه فائدة تربوية ينبغي لمن علم علماً أن يبادر إلى تطبيقه

■ وألا يقول واجب ولا سنة! محرم ولا مكروه! ما كان الصحابة رضوان الله عليهم يفعلون هذا مع خطاب

النبي ﷺ ومع ما ينزل به القرآن كانوا إذا أمروا بأمر وأطاعوه فعلوه، وإذا نهوا عن شيء اجتنبوه كما قال

نبينا ﷺ "إذا نهيتكم عن شيئاً فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم"

فعود نفسك - أيها المؤمن وأيتها المؤمنة - على الامتثال لا تكن كهيئة الماكس في السوق الذي يخاطب البائع ويطلب منه أن يخفض له في الثمن إن استطعت أن تفعل ما أمرك الله به فافعله مستشعر عبوديتك لله تعالى وإلا فأتي منه ما استطعت فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها وإذا نهاك الله عن شيء فكف عنه فإنه ما نهاك عنه إلا وأنت تقدر على تركه

طيب إذا نبينا ﷺ بادر بالامتثال وقد كان من السلف الصالح من إذا بلغه الحديث عن النبي ﷺ بادر بالتأسي والامتثال

حتى إن الإمام أحمد لما بلغه أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة الحجام ديناراً ذهب واحتجم وأعطى الحجام ديناراً،

ويروى عن الطوسي محمد بن أسلم - رحمه الله - أنه قال اجتهدت أن أطوف حول البيت راكباً مع أنه في زمنه كان لا يتيسر ذلك لكن مادام حتى تمكن أن يطوف ببعير حول البيت اقتداءً بالنبي ﷺ ولهم في ذلك عجائب في حرصهم على إتباع السنة

- - نستفيد أيضاً أن الوسيلة المنجية بين العبد وربّه هي الإيمان والعمل الصالح؛ "اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً" وأن سائر الوسائل لا تجدي شيئاً بل لا تزيد العبد من ربه إلا بعداً
- - نستفيد أيضاً أن البداية بالأقربين مقدمة؛ فإن الله قال لنبي ﷺ وأندر عشيرتك الأقربين فينبغي للإنسان أن يجتهد في نفع ذويه وأقرب الناس إليه خلافاً لما يقع من بعض الدعاة، وطلبة العلم ربما نشروا دعوتهم في الخافقين لكن أقرب الناس إليه وهذا خطأ في الترتيب يجب أن يبدأ الإنسان بمن حوله الأقرب فالأقرب فهذا هو الترتيب الطبيعي ولهذا الشيء وجه النبي ﷺ إلى دعوة عشيرته الأقربين فسمى من أقاربه بأسمائهم ووجه إليهم الدعوة ثم يمتد إلى من بعدهم وهكذا

◆ لننظر الآن في مسائل الباب...

فيه مسائل:

- الأولى: تفسير الآيتين.

[الشرح]: تقدم ذلك

- الثانية: قصة أحد.

[الشرح]: كذلك تبين هذا

- الثالثة: قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة.

[الشرح]: نعم هذا ما كان يقع من النبي ﷺ حينما كان يرفع من الركوع في الركعة الثانية أنه كان يقنط في صلاة الصبح ويدعو ويدعو خلفه سادات الأولياء وهم الصحابة رضوان الله عليهم، وقنوت النوازل مشروع ولا ريب ومشروعيته باقية ولهذا ذهب بعض أهل العلم إلى أن هذا القنوت مشروع في كل صلاة فجر ولكن الصحيح أن هذا قنوت مرتبط بنازلة ولا يداوم عليه فقد قنط النبي ﷺ في مواطن عدة قنط شهرا يدعو على رعل وذكوان وعصية وقنط على هؤلاء المسمين بأسمائهم نعم.

-الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

[الشرح]: نعم أن المدعو عليهم كانوا كفار وهم الثلاثة الذين جرى ذكر أسمائهم يعني كأن الشيخ - رحمه الله - يشير إلى أنه لا يقنت على مسلم لأنه قال أن المدعو عليهم كانوا كفارا ويمكن أيضا أن يكون ذلك مختصا بوصف اللعن لأنه لعنهم نعم.

-الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما يفعلها غالب الكفار منها: شجهم نبيهم وحرصهم على قتله، ومنها: التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.

[الشرح]: نعم كل ذلك وقع منهم وهذا يدل على الفجور في الخصومة وهذا هو ما حمل النبي ﷺ على التغليظ عليهم وعلى القنوت عليهم.

-السادسة: أنزل الله عليه في ذلك (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) (٤٨).

[الشرح]: الله أكبر يعني مع ذلك كله ومع ما بدر منهم من سوء المعاملة والفجور في الخصومة وشج وجهه الشريف والتمثيل بالقتلى وغير ذلك إلا أنه قيل له ليس لك من الأمر شيء فلا تدعو عليهم باللعن فالأمر كله لله نعم.

-السابعة: قوله: (أَوْ يُتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ) (٤٩) فتاب عليهم وآمنوا.

[الشرح]: هذا ما وقع فكل هؤلاء الثلاثة سهيل بن عمرو، صفوان ابن أمية، وكذلك أيضا الحارث بن هشام ثلاثتهم قد أسلموا وحسن إسلامهم

-الثامنة: القنوت في النوازل.

[الشرح]: يعني أن ذلك يدل على مشروعية القنوت في النوازل وقد تقدم، ولكن هذه المسألة لها فروع فقهية:

* فالقنوت في النوازل هل يكون من اختصاص الإمام، وهل يختص به مسجد دون آخر؟

هذا مما اختلف فيه أهل العلم:

- فذهب بعض أهل العلم إلى أن القنوت يختص بمسجد الإمام الأعظم

- وذهب بعضهم إلى أن القنوت يكون في كل مسجد.

* كما أنه أيضا اختلفوا هل يفتقروا إلى إذن الإمام أم لا؟

والراجع في هاتين المسألتين أن القنوت لا يختص بمسجد الإمام الأعظم بل يمكن أن يكون في كل مسجد ولكن ينبغي أن يكون القنوت بإذن الإمام؛ لماذا؟ لأن الناس قد يختلفون في تقدير النازلة فتجد أن من الناس من يرى أن هذه نازلة وأخر لا يراها نازلة فيدع القنوت بين الناس اختلاف في هذه المسائل، ومن المعلوم أن الشارع الحكيم يتشوف إلى جمع الكلمة وأن يكون مظهر الأمة واحدا فلذلك يتوجه القول إلى أن القنوت في النوازل ينبغي أن يكون بإذن الإمام.

-التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

[الشرح]: نعم وقد تقدم بيان ذلك.

العاشرة: لعنه المعين في القنوت.

[الشرح]: لعن المعين في القنوت، وهذا قد نهي عنه النبي ﷺ فلا يجوز أن نلعن معين بخلاف الدعاء عليه لأن الدعاء أوسع لأن اللعن دعاء بالطرد والإبعاد عن رحمة الله لكن اللعن على سبيل العموم جائز كأن يقول الإنسان

اللهم ألعن الكفرة اللهم اللعن اليهود والنصارى، لعن الله من غير منار الأرض، لعن الله من انتسب إلى غير والديه، لعن الله أكل الربا، ونحو ذلك فاللعن جائز فيما ورد فيه النص أما اللعن بالشخص فلا يجوز.

-الحادية عشرة: قصته ﷺ لما أنزل عليه: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (٥٠).

[الشرح]: نعم وقد تقدم بيان القصة وكيف أن النبي ﷺ قام على الصفا امتثالاً لأمر ربه، وتماها أن النبي ﷺ قال رأيتم لو أني أخبرتكم أن خلف هذا الجبل جيشا يريد أن يغزوكم أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فإني نذير لكم بيد يدي عذاب أليم، وفي رواية أنه قال "فإني أنا النذير العريان" فقال له عمه أبو طالب تبا لك سائر اليوم أهذا جمعتنا؟! فأنزل الله { تبت يدا أبي لهب وتب }

-الثانية عشرة: جدّه ﷺ في هذا الأمر، بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن.

[الشرح]: يعني جدّه ﷺ في امتثال أمره لم يحل بينه وبين أي اهتمام أو أي مخاوف مظنونة بل مضي في أمر ربه، وفي هذا تنبيه لمن يباشر الدعوة إلى توحيد الله - عز وجل - أنه قد ينسب إلى الجنون أو إلى غير ذلك من ألقاب السوء فليحتمل كما احتمل نبي الله ﷺ.

-الثالثة عشرة: قوله للأبعد والأقرب: (لا أغني عنك من الله شيئاً) حتى قال: (يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً) فإذا صرح ﷺ وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئاً عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان بأنه ﷺ لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم تبين له ترك التوحيد وغربة الدين.

[الشرح]: صدق الشيخ - رحمه الله - وأنه كان يتكلم بهذا الكلام عن بصيرة معاينة فإنه قد أدرك من حال الناس ما قد حمله على أن يغضب لله وأن يصنف هذا الكتاب النافع وأن يقيم الأدلة النقلية والعقلية على وجوب توحيد الله فصار كثير من الناس في زمنه ولا يزال في زمننا هذا من يكون له نوع تعلق بالأشخاص ويظن أن فلانا وفلانا يملكون أن ينفعوه أو يضرّوه فكيف هذا مع أن سيد الأنبياء والمرسلين يقول لا أغني عنكم من الله شيئاً يقوله للبعيد والقريب أين هؤلاء عن مثل هذه النصوص فإنه يجب على كل مؤمن توحيد الوجهة والقبلة فلا يلتفت إلى غير الله - عز وجل - في دعائه.

باب

قول الله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) (٥١).

وفي (الصحيح) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك. حتى إذا فُزِعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع - ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها عن لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء).

وعن النواس بن سمعان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماء منه رجفة - أو قال رعدة - شديدة خوفاً من الله - عز وجل - . فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخرروا لله سجداً. فيكون أول من يرفع رأسه جبرائيل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبرائيل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبرائيل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبرائيل. فينتهي جبرائيل بالوحي إلى حيث أمره الله - عز وجل -).

[الشرح]

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فإن هذا الباب باب عظيم باب يتعلق بأمر غيبي لا سبيل لنا إلى إدراكه إلا بما أخبرنا الله تعالى به، وهو يدل على عظمة الله - سبحانه وتعالى - وعظيم قدره وإثبات صفات الكمال له فلننظر إلى هذه النصوص العظيمة

◈ باب قول الله تعالى (حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) (٥١)

هذه الآية من سورة سبأ في بيان حال الملائكة حين ما يتكلم الله بالوحي وأنه يلحقهم من جراء ذلك فزع عظيم وخوف ورهبة من المتكلم - سبحانه وتعالى - كما سيأتي مفسراً في الحديثين بعده

◈ فمناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد مناسبة عظيمة:

وهي أنه إذا كان هؤلاء الملائكة الكرام العظام، الكبار العارفين بالله، القريبين منه يدركهم هذا الفزع هذا الضعف من جراء سماع كلام الله - عز وجل - فكيف يتعلق بهم المشركون؟! الأولى أن يتعلقوا بخالقهم وموجدهم سبحانه وبحمده هذا وجه مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد أن هؤلاء الملائكة الكرام العظام الذين يدعونهم

بعض المشركين هذا هو حالهم مع ربهم من الانكسار مع ربهم - عز وجل - الضعف، والافتقار إليه سبحانه وبحمده فكيف يدعونهم هؤلاء المشركون؟ ويدعوا دعاء ربهم - عز وجل - وهذا من الأدلة على وجوب توحيد الله - عز وجل - وإبطال دعاوى المشركين

◆ لننظر في هذه الآية العظيمة (حتى إذا فرغ عن قلوبهم)

ما معنى فرغ؟ فرغ أي زال عنها الفرغ من أين أتى ذلكم الفرغ؟ جراء سماعهم لكلام الله - عز وجل - كما سيأتي فحديث أبي هريرة وفي حديث نواس بن سمعان

(عن قلوبهم) وهذا يدل على أن الملائكة خلق حقيقي لهم قلوب وليس مجرد قوى معنوية كما يزعم بعض المغالطين بل الملائكة خلق حقيقي خلقهم الله تعالى من نور ولهم أجنحة: { الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء }،

وقد ثبت أن النبي ﷺ رأى جبريل في صورته التي خلقه الله عليها مرتين له ستائة جناح قد سد الأفق وقال أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مخفق الطير سبعمائة عام .

الله أكبر ومع ذلك هذا حالهم عند ربهم إذا فرغ عن قلوبهم أي زال عنها الفرغ قال بعضهم لبعض:

ماذا قال ربكم فيكون جبريل قد أخبر بأنه قال الحق فيقول بعض الملائكة لبعض:

قالوا الحق وهو العلي الكبير فأثبتوا لله - سبحانه وتعالى - هذين الاسمين الشريفيين من أسمائه الحسنی، الأول:

اسمه العلي

فمن أسمائه الحسنی اسمه العلي وهو يدل على صفة العلو وعلو الله تعالى ثلاثة أنواع:

١. علو القهر،

٢. وعلو القدر،

٣. وعلو الذات،

أما النوعان الأولان فلا يخالف فيها أحد من أهل القبلة، وهما علو القدر وعلو القهر.

ما معنى علو القهر؟ علو القهر يعني الغلبة وهو القاهر فوق عباده فلا شك أن الله تعالى علا جميع خلقه بقهره وهو القاهر فوق عباده،

علو القدر معناه أن الله - سبحانه وتعالى - له المثل الأعلى فصفاته قد بلغت أكمل الأوصاف لا يماثله أحد في أسائه وصفاته،

أما النوع الثالث فهو الذي وقع فيه الخلاف بين أهل القبلة وهو علو الذات:

فأهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يومنا هذا كلهم على أن الله - سبحانه وتعالى - فوق عباده بذاته مستو على عرشه بائن من خلقه ليس فيه شيئاً من خلقه ولا في خلقه شيء منه

خلافاً لأهل الحلول وهذه العقيدة عقيدة قطعية قامت عليها نصوص الكتاب والسنة ودل عليها العقل والفطرة والشرع كما أسلفنا وبسطها في غير هذا الموضوع،

أما أهل الأهواء الزائغة فكلهم ينفي عن الله صفة العلو علو الذات، وبعضهم يقول هو في كل مكان تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ومنهم من ينفي عنه جميع الجهات حتى يقولون لا أمام ولا خلف ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار ينفون الجهات فهذا يقتضي القول بالعدم،

ولهذا قال عبد الله بن المبارك إنما يحاولون أن ليس فوق السماوات إله يعني نفاة العلو مؤدى قولهم وغرض بعضهم إنكار وجود الله - عز وجل - طيب هذه هي أنواع العلو

وأما الكبير:

فالمقصود به الذي لا أكبر منه - سبحانه وتعالى - ولا أعظم منه فهو العلي الكبير

إذا هذا هو معنى هذه الآية أن الملائكة الكرام العظام إذا سري عنهم ما لحقهم من الفزع والغشي من جراء سماع كلام الرب - سبحانه وتعالى - سأل بعضهم بعضاً ماذا قال ربكم؟ فأجاب بعضهم بعضاً قالوا الحق وهو العلي الكبير

◆ فدلت هذه الآية العظيمة:

- على الرد على جميع المشركين الذين يدعون غير الله فإن منهم من يدعو الملائكة، ومنهم من يدعو من دون ذلك ولا شك أن أعظم المخلوقات الملائكة فمن دونهم من باب أولى فتضمنت الرد على جميع المشركين فكل من دعى شيئاً فهو أقل قوة من الملائكة فيكون الرد عليهم من باب أولى،

- ودلت هذه الآية على إثبات الكلام لله - عز وجل - لأن القول هو الكلام ماذا قال ربكم؟ قالوا حقا فهي تدل على إثبات صفة الكلام لله - سبحانه وتعالى -، وأيضا تدل على ما هو أخص من ذلك وهو أن كلام الله - سبحانه وتعالى - غير مخلوق ما وجه ذلك؟ لأنه قال في الآية قالوا ماذا قال ربكم؟ ولم يقولوا ماذا خلق ربكم فدل ذلك على أن كلام الله - عز وجل - غير مخلوق

خلافًا لما ذهب إليه المعتزلة بل ودلت على أمر أخص من ذلك وهو أن كلام الله - عز وجل - متعلق بمشيئته بمعنى أنه يتكلم متى شاء كيف شاء بما شاء

خلافًا للأشاعرة، والماتريدية، والكلابية الذين يقولون إن كلام الله هو المعنى القديم القائم في ذاته وينكرون أن يتكلم الله - عز وجل - بحسب الوقائع

فإذا هي دلت أيضا على أنه يتكلم متى شاء لأنه قد قال حتى إذا فهذا يدل على ظرفية (حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)،

- ودلت أيضا على إثبات اسمين من أسماء الله الحسنى هما العلي والكبير،

- ودلت على إثبات وصفين من صفات الله وهما العلو والكبر،

ولهذا خذوها قاعدة كل اسم من أسماء الله فإنه يتضمن صفة ولكن لا يلزم العكس ليس إثبات الصفة يتضمن إثبات الاسم كل اسم من أسماء الله فهو متضمن للصفة قطعا ولا عكس فقد يوصف الله تعالى بوصف ولا يلزم إثبات الاسم منه مثلا قال الله تعالى وجاء ربك هل نقول من أسماء الله الحسنى الجائي؟ يريد الله بكم اليسر هل نقول من أسماء الله الحسنى المريد؟ لا فكل اسم يتضمن صفة ولا يلزم أن تتضمن الصفة اسما، - ودلت أيضا على إثبات عظمة الله - سبحانه وتعالى -،

- ودلت أيضا على فضل الملائكة الكرام ثم ذكر الحديث الذي في صحيح البخاري

قال: في الصحيح المراد في صحيح البخاري

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال (إذا قضى الله الأمر - يعني تكلم به كما سيأتي مفسرا في الحديث الذي بعده المقصود إذا بقضائه هنا تكلمه به لأنه قال إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون فقضاؤه يكون بالتكلم بما يريد سبحانه - في السماء - لأنه في السماء سبحانه وبحمده يدل على علوه -

ضربت الملائكة - و الملائكة جمع ملك وأصله مألِك من الألوكة وهي الرسالة وقد عرفنا الملائكة قبل قليل -

بأجنتها خضعاناً" بفتحين فتح الخاء والضاد ويصح بضم الخاء وتسكين الضاد - لقوله - يعني أن الملائكة تضرب بأجنتها وتهبط بها تذلل الله - سبحانه وتعالى - هذا معنى خضعاناً يعني خضوعاً وتذلاً
لقوله أي لكلامه الذي صدر منه سبحانه -

كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك. - هذا ليس تشبيها لصوت الرب - سبحانه وتعالى - ولكن تشبيه للنفذ بالنفذ لنفاذ الصوت في المخلوق لأن الملائكة مخلوقين بهذا السلسلة هي الحلق الحديدية المتصلة والصفوان هو الحجر الأملس فإذا ضربت السلسلة الصفوان صدر صوت حاد نافذ يهز البدن فأراد أن هذا الصوت الذي تسمعه الملائكة ينفذهم في تكوينهم وخلقتهم كما ينفذ صوت السلسلة على الصفوان في بدن ابن آدم لحدته ومضاؤه ومن المعلوم أن الأصوات والمرئيات يكون لها تأثير متفاوت فالله تعالى قال في المرئيات يكاد البرق يخطف أبصارهم فهذه الأشعة تؤثر على النظر لأنها فوق طاقته المعتادة كذلك الصوت من الأصوات ما يؤثر في الأبدان وينفذ فيها فهذا تأثير سماعهم لكلام الرب - سبحانه وتعالى - فلذلك يصيبهم الغشي فيخروا مغشي عليهم من جراء سماعهم لكلام الرب سبحانه"

قال حتى إذا فُزَّع عن قلوبهم "يعني زال عنها الفزع"

قالوا: ماذا قال ربكم؟ "و هذا لتشوفهم للعلم ورغبتهم في إدراك ما تكلم به الرب سبحانه"

قالوا: الحق وهو العلي الكبير "و تفصيل ذلك يأتي في الحديث الذي بعده أنهم يسألون جبريل فيخبرهم جبريل فيقول بعضهم لبعض قالوا الحق وهو العلي الكبير كما تقدم في الآية"

فيسمعها "أي تلك الكلمة التي تكلم الله بها والمقصود بالكلمة ليس اللفظة فإن الكلمة تدل في لغة العرب تدل على الجملة"

فيسمعها مسترق السمع "من مسترق السمع؟ الشيطان الجنى الذي يصعد في أجواز الفضاء ليسترق السمع وينزل به على الكاهن" فيسمعها مسترق السمع - ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - "إذا مسترق السمع لا يقصد به شيطاناً واحداً وإنما اسم جنس يعني مسترقو السمع"

يقول هكذا بعضه فوق بعض وصفه سفيان " هذا سفيان بن عيينه بن ميمون الهلالي - رحمه الله - من أئمة السلف، ومن الحفاظ الأثبات الثقات جبل في الحديث والرواية كانت وفاته سنة ١٩٨ للهجرة "

بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه " جعلها كالحرف هكذا وبدد بين أصابعه يعني فرقها كأن هذه طبقات من الجن يلقي بعضهم إلى بعض القول "

قال فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته " يعني مسترق السمع يسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته

ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر يعني سلسلة متصلة من الشياطين مسترقي السمع يوصلون هذه الكلمة

حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ما الفرق بين الساحر أو الكاهن؟

الساحر: هو من يستخدم ما دق ولطف سببه في التأثير،

وأما الكاهن: فهو من يدعي العلم بالمغيبات والأمور المستقبلية"، قال فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة " الشهاب هو النجم الذي يقذف به ويرمى به فتحرقه.

وصلي الله علي نبينا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين؛؛